جناح استقبال النساء

قصة بقلم سليمان فياض

كان المستشفى غارقا في الظلام . وبات من العسير ان يخترق احد ، من غير اهله ، طرقات حديقته الكثيرة المتعرجة ، دون ان يضل طريقه . وكانت تحيط بمباني المستشفى العديدة ، مصابيح كهربية متناثرة ، لكن ضوءها كان خافتا في الظلمة الكثيفة ، ولكثرتها لم تعد تهدي سائرا . ومن مجرى النيل الضيق أمام المستشفى ، انبعث نقيق الضفادع ، فازداد صمت الليل رهبة وسكونا . بينما كانت النجوم تبرق قريبا من هامات الاشجار ، في سماء رمادية فسيحة . وبين آونة واخرى كانت تمرق سيارة ليلية فوق الكوبري الضيق ، ثم تنحدر يسارا ، على الطريق المعبد الخالي ، دون ان تطلق نفيرا واحدا .

***

كان الدكتور حسن جالسا خلف مكتبه ، في غرفة الطبيب بجناح استقبال النساء ، وقد وضع سماعته فوق عدد قديم من مجلة بلا غلاف . ونظر الطبيب الى ساعة يده ، فوجدها ما تزال الواحدة صباحا . وزم شفتيه زافرا من السأم . وأحس بعينيه تثقلان . وفكر ان الليلة هي أولى لياليه في استقبال النساء . وضحك حسن في سره ، حين دار بخاطره ، انه طبيب مع ايقاف التنفيذ . (كان حسن في سنة الامتياز ، وكان له الحق ان يشخص ويعالج داخل المستشفى ، وليس له هذا الحق خارجه) . ولم يدفع ذلك الخاطر النوم عن عينيه . وتناول حسن سماعة التليفون ، وطلب من « السويتسن » زميلا له ، في أحد عنابر المستشفى ، وتبادل معه حديثا طويلا تافها . ثم أعاد السماعة ، وشبك اصابعه على صدره ، وجلس ساكنا ، ينظر بلا تحديد الى الجدران الصفراء . وفكر حسن انه الان وحيد بالغرفة ، وليس معه في الاستقبال ، الا خادم له سحنة سجين ، يجلس عند باب الاستقبال الخارجي ، وحكيمة قبيحة الشكل ، مترهلة الجسم ، تجلس في صالة الاستقبال الى منضدتها الصغيرة البيضاء ، وقد وضعت يديها على المنضدة ، وألقت برأسها فوقهما ، وبجوارها ، على اليمين ، تجلس ممرضة عاكفة على ابر التريكو برتابة ، وعلى اليسار ممرضة أخرى ، تحتضن ظهر مقعدها الابيض بين ابطيها ، وصدرها الصغير نافر قليلا ، تبتسم له من بعد ، وعيناها تحلمان بعالم وردي . وبدا القرف على وجه حسن ، فوجهاهما قبالة في الصالة يعاني من انيميا مزمنة ، يبدوان معهما كالرجال . وأدار حسن وجهه بعيدا عن عينيها . وتذكر ان رفاقه جالسون الان في حفلات سمر ، تحت ضوء غرف ساطعة الضوء ، نظيفة ، وأنيقة ، مع طبيبات وممرضات وحكيمات ، أخصب وجوها وأنوثة ، لا يحسون معهن بسأم الليل في جناح الاستقبال . وفي الجانب الاخر من الصالة ، كانت ثلاث غرف مفتوحة الابواب ، مرتبة الاسرة ، تنتظر نساء قد ولدن لتوهن . وفي الحديقة ، وراء النافذة على يمينه ، كان كشك الولادة بحالة استعداد لاستقبال ابة زائرة . واستغرب حسن ان تمضي عليه كل هذه الساعات من الليل ، دون ان تفد الى المستشفى زائرة واحدة ، في مدينة كبيرة تعج بالناس ، والمرض ، والميلاد ، والموت .

* * *

اندفع التاكسي عابرا الكوبري ، واتجه رأسا الى الباب الحديدي الكبير ، في سور المستشفى . وتوقفت السيارة امام الباب . وأطلق السائق نفيره منبها ، ثم أضاء مصباحا داخل السيارة . وخلف الباب ، على اليسار ، تحرك الحارس الليلي ، مغادرا الكشك ، وبندقية على كتفه . ونظر الحارس عبر حديد الباب وزجاج السيارة الامامي : كانت في المقعد الخلفي امرأة ، في قميص النوم ، مضطجعة على المقعد ، ثانية ساقيها . وفهم الحارس انها على وشك الوضع . وفتح الباب ، فصر في يده عاليا . وتقدمت السيارة ، ثم توقفت وراء الباب . وأقبل المعاون ، على عينيه آثار النوم ، وبين يديه دفتر مفتوح ، وسأل :

ـ حالة ولادة ؟

فقال السائق :

ـ نعم .

فقال المعاون للمرأة :

ـ ما اسمك ؟

ـ أمينة .. أمينة عبد السميع .

ـ عنوانك ؟

ـ ١٢ شارع المنيرة .

ورفع المعاون وجهه عن شباك السيارة ، متنهدا بشبق لخيال فخذيها الواربين ، وأشار للسائق بابهامه ، فاندفع بسيارته مسرعا ، أماما ، ثم يسارا ، ثم يمينا ، ثم يسارا ، وتوقف أمام مدخل جناح استقبال النساء . وأطلقت أمينة آنة تنبيه . ونزل السائق مبتسما ، وفتح الباب . وجاء الخادم الليلي ، وساعد السيدة على النزول .

ـ ١ ـ

كان حسن قد اعتدل على مقعده ، واضعا يديه على السماعة الطبية فوق المكتب . ورآح يرقب الحركة التي دبت فجاة تحت ضوء شاحب ، على سرير جانبي ، في الغرفة المقابلة . وأقبلت الحكيمة مسرعة ، ووقفت أمامه قائلة :

ـ دكتور حسن ، استعد . جاءت حالة ولادة .

ورفع حسن رأسه من غفوته اليقظة . كان يود أن يندفع للقاء الزائرة ، لكنه تذكر انه الان الطبيب ، فقال بهدوء :

ـ طيب . افحصيها ، وقدري متى تستلد .

فابتسمت الحكيمة لانه يجيد دوره ، واستدارت عائدة . وغابت لحظة ، ثم جاءت قائلة :

ـ دكتور حسن . المريضة تعاني من المخاض . ويصر أن يفحصها الطبيب بنفسه .

كاد حسن أن يسمعها أمرا جديدا ، بضرورة فحصها للمريضة قبله ، لولا انه سمع أنين الزائرة عاليا ، فقال :

ـ طيب . أنا قادم .

ووضع السماعة على أذنيه ، ووقف ، فتدلى مطاطها على صدره . وفكرت الحكيمة ، وهي تنصرف ، ان السماعة لا ضرورة لها الان . بينما كان حسن يغادر غرفته على اثرها .

.. غمس حسن كفيه في طبق المطهر ، ثم عصرهما ، دون ان ينظر الى الممرضة المدلهة به . وولج الغرفة الاخرى . كانت الزائرة مضطجعة على السرير تتأوه ، وقد تغطت بملاءة . ورآها حسن مليحة الوجه ، متناسقة العود ، فابتهج . وقال لها :

ـ جئت وحدك ؟

فقالت الزائرة متوجعة :

ـ كنت وحدي في البيت . تحاملت على نفسي ، وركبت التاكسي

... الى هنا .

فقال حسن وهو يمد يده من تحت الملاءة :

ـ في اي شهر انت ؟

ـ في أواخر التاسع .

كان وجه الزائرة قد تضرج بالدم . وصرت المرضة العاشقة على أسنانها مغتاظة . بينما راحت المرضة الاخرى تعبث بالقلم بين أسنانها ، محتضنة دفتر البيانات على صدرها . وفجأة صاح حسن غاضبا ، وهو يسحب يده :

ـ ما اسمك ؟

فقالت الزائرة مرتعبة :

ـ اسمي .. اسمي أمينة يا دكتور . ذكرته للممرضة منذ لحظة ..

فقال حسن بحدة ، وهو يبتعد ليغسل يديه في المطهر :

ـ لماذا جئت ؟.. أنت كاذبة .

فصاحت المريضة من داخل الغرفة :

ـ كاذبة ؟ لم أكذب عليك يا دكتور . فيم كذبت ؟

وعاد اليها حسن ، وقال واضعا قبضتيه على وسادتها :

ـ انت ، لست حاملا .

فصاحت غير مصدقة :

ـ لست حاملا ؟ أنا حامل .

وأنت أمينة أنينا متواصلا ، قائلة :

ـ أنا .. انا حامل . لم تأتني العادة الشهرية تسع دورات . تقيأت . دارت بي الارض . سمعت ضربات قدميه ويديه فيجنبي . أمسكته بيدي غير مرة .

فقال حسن مؤكدا :

ـ يا سيدتي ، أنت حامل بالوهم . ليس في رحمك شيء .

فقالت أمينة ، وهي تغالب الضحك والالم معا :

ـ الله يسامحك يا دكتور . أنا حامل .

وصمتت لحظة ، ثم صرخت وهي تنظر اليه :

ـ لا تقتل ابني وانت تتفرج علي . ساعدني لالد .

فقال حسن ساخرا :

ـ لو كان في بطنك شيء !

صرخت أمينة من النوبة . ثم تذكرت شيئا فقالت مبتهجة :

ـ انت لا خبرة لك بالولادة يا دكتور . الست طبيب امتياز ؟ قل.

وكانت عيناها تومضان . فاحتقن وجه حسن ، وصاح بها مؤكدا :

ـ قلت لك لست حاملا . الالم الذي تحسين به الان ، والذي احسست به طوال تسعة أشهر ، ناتج يا سيدتي من انقطاع العادة الشهرية عنك كل هذه المدة . هل فهمت ؟

وأضاف حسن آمرا :

ـ انزلي واذهبي الى بيتك . نحن لا نهزل هنا .

واشعل حسن سيجارة . وظل ينتظر ، وقد ازداد أنين أمينة، وراح راسها يتحرك على الوسادة يمنة ويسرة . وفتحت المرضة العاشقة فمها لتتكلم . وسقط القلم من يد زميلتها فانحنت وأتت به . بينما كانت الحكيمة قد مدت يدها من تحت الملاءة ، لترى كيف يكون الحمل بالوهم ، ثم سحبتها قائلة بعطف :

ـ يا أمينة يا اختي ، لست حاملا كما يقول الدكتور ، فاسمعي الكلام .

فنهضت أمينة معتمدة على مرفقي ذراعيها ، وقالت محتجة :

ـ لا . لا . انتم تكذبون . لماذا تعذبونني ؟ أريد أن الد .

فقال حسن للحكيمة بلا اكتراث :

ـ أعطيها الجرعة المعتادة لتسكين المغص . وأعدي الحقنة اللازمة، لتنزل الدماء الحبيسة في جوفها .

فصاحت أمينة بيقين :

ـ لا . لن آخذ شيئا . لا تقتلوا ابني . سيكون ولدا حلوا مثله.

كانت عيناها تلتمعان . ثم ضاقتا وهي تصرخ في وجوههم :

ـ هاتوا النائب . هاتوا النائب . أريد النائب .

واخذت أمينة تبكي مولولة . وكانت المرضة العاشقة قد انصرفت ، لتعد الحقنة ، والجرعة . بينما اندفع حسن الى غرفته . واتصل تليفونيا بالنائب . شرح له الحالة ، وطلب حضوره . ثم وقف بجوار مكتبه ، ينتظر .

.. جاء الطبيب النائب ، وغمس يديه في المطهر . وعصرهما . وولج غرفة الزائرة . ونادت الحكيمة على حسن ، فاقبل . وحيا أحدهما الاخر بهزة من رأسه . وقال النائب لامينة :

ـ هل أنت متزوجة ؟

فقالت أمينة ، بينما كان النائب يمد يده من تحت الملاءة :

ـ كنت متزوجة . كنت احبه . لكنه مات في حادث تصادم . أرجوك ، ارجوك يا دكتور . لا تقتل ولدي . انه الباقي لي من زوجي . ابني . أرجوك . لا تدعهم يتآمرون علي ولدي .

كان النائب قد سحب يده صامتا ، جامد الوجه ، ثم ذهب ليغسل يديه في المطهر ، وزعقت أمينة خلفه بلهفة :

ـ انا حامل . أليس كذلك يا دكتور ؟

ولم يجبها النائب ، فاضافت :

ـ ارجوك يا دكتور . دع ولدي ينزل . انا مستعدة لاي شيء ، لفتح بطني ، لان أموت ، ويولد ابني .

ـ لا تخافي . ستلدين . ولكن ، ليس الان . ستلدين غدا ، أو بعد غد . تحملي .

بهت حسن . وشعر بأن الدم يغلي تحت جلده ، وانه الان : كاذب ، قليل الخبرة ، طبيب امتياز ، تحت التمرين ، كما فكرت الزائرة . ونظر حسن الى النائب نظرة صماء ، وانصرف الى غرفته على الاثر ، فلا ينبغي له أن يعترض على طبيب يعلوه مركزا . وابتسم النائب لانصرافه . ونظرت المرضة الى زميلتها شامتة بخيبة طبيبها. وفتحت الحكيمة فمها لتراجع النائب ، لكن النائب قال لها :

ـ خذيها الى الغرفة المجاورة ، بالداخل . هناك أسرة خالية بها .

فهزت الحكيمة رأسها مؤيدة . وقال النائب لها ، وهو ينظر الى أمينة :

ـ أعطيها جرعة مسكنة الان . ستلد غدا .

فصاحت أمينة فرحة ، كأنها لم تسمع ذلك من قبل :

ـ أشكرك . أشكرك يا دكتور .

ونظرت أمينة بفرح الى الحكيمة ، ثم الى المرضتين ، وعيناها تقولان بابتهاج :

« الم أقل انني حامل ؟! »

وكان النائب قد انحنى على الحكيمة هامسا ، وأمينة تكتم آلام أحشائها ، منصتة بحذر الى همسهما . وفكرت الحكيمة لحظة ، ثم صاحت هامسة :

ـ أوه . فهمت !

ونظرت الى النائب بامتنان . بينما قالت أمينة بصعوبة ، مكتئبة :

ـ حقنة ؟ سمعتكما تتحدثان عن حقنة . لماذا ؟

فقال النائب بسرعة ، وهو يشعل سيجارته :

ـ لا تخش شيئا . الحقنة ستساعدك على الولادة غدا .

وانصرف النائب . ذهب الى حسن في غرفته ، وجلس الى المكتب ، وقال لحسن برتابة :

ـ فحصك للزائرة صحيح مائة بالمائة . لكن ، كان لا بد أن أفعل ذلك حتى لا تجن ، أو تصنع بنفسها شيئا .

تفتح وجه حسن سرورا ، وقال :

ـ هل أمرت لها بالجرعة والحقنة ؟

فهز النائب رأسه ، ثم قال :

ـ ستنام الليلة هادئة ، حالة ، وغدا حين يسقط الدم ...

وتنهد النائب ، وهو يضيف :

ـ كان الله في عونها آنئذ . ستحزن ، لكنها ستكون في حال افضل ، مما لو طردناها الليلة .

فقال حسن باعجاب :

ـ هذا نبل منك .

فاجابه النائب بلا اكتراث ، وهو ينفث دخانا ، ويطفىء ما بقي من سيجارته بقدمه :

ـ نبل ؟.. ستعاد ذلك بالخبرة . هيه . سأذهب الان لاستانف نومي . استدعني عندما ترى ذلك ضروريا ، فقد نمت كثيرا اثناء النهار .

وانصرف النائب مغادرا جناح الاستقبال . وجلس حسن الى مكتبه . وكانت الحكيمة قد عادت وألقت برأسها على ساعديها متناومة ، واحدى المرضتين قد عكفت على ابر التريكو ، والاخرى تحتضن ظهر مقعدها الابيض بين أبطيها ، وعيناها تنظران نحوه حالمتين . وفكر حسن ان أمينة ترقد الان على الفراش نائمة ، وربما كانت سعيدة بآلام رحمها ، تنتظر غدا ، فرحة بانتصارها عليه . وابتسم حسن ، برغمه ، شامتا ، من غدها .

ـ ٢ ـ

كان حسن ما يزال جالسا ، يقلب صفحات المجلة القديمة التي بلا غلاف . حين جاء حسن كانت المجلة على المكتب ، كانت أطرافها متآكلة . ودار بخاطره انها ربما كانت هنا منذ سنين . وفكر انه لم يقرأ بعد أي شيء بها . ولم يستطع ان يتذكر انه قرأ حتى اللحظة أيا من عناوينها . ودهش لذلك . وسمع صوت بوق سيارة ، وهي تقف أمام جناح باب الاستقبال ، ونواح امرأة ناضجة تئن من المخاض . وسمعها من بعد تئن بكلام غير واضح . وهب حسن واقفا ، لكنه لم يغادر غرفته . وكانت الحكيمة والمرضتان يلحقن بخادم الجناح ، ليساعدن الزائرة . ومرت سريعا بذهن حسن صورة المرضة ذات الصدر النافر ، وهي تنظر اليه من فوق كتفها حين كانت تمر أمام الباب .

دخلت الحكيمة على حسن قائلة بلا اكتراث :

ـ حالة ولادة أخرى يا دكتور حسن .

فتضاحك حسن قائلا :

ـ يبدو ان الليلة ليلة المواليد الجدد .

وابتسم ابتسامة عريضة لما ظنه نكتة . لكن الابتسامة ماتت على شفتيه ، حين قالت الحكيمة بلا اكتراث :

ـ أرجو ألا يكون حملا كاذبا هو الاخر .

وقال حسن في سرعة :

ـ تلك حالة نادرة . اذهبي وخذيها فورا الى السرير ، وقدري متى ستلد .

وفوجىء حسن بسيدة في ملابس سوداء ، تدخل عليهما قائلة :

ـ متى سالد ؟ سالد الان . أسرعا . أريد ان أنتهي من هذا الامر .

واضافت مدمدمة لمن في بطنها :

ـ أسكت يا ابن الـ ... ، الله يلعنك ، انت ومن كان السبب فيك .

بهتت الحكيمة ، وجحظت عيناها الما ، لان السيدة تسب جنينها . ونظر حسن مستغربا ، ثم قادت الحكيمة السيدة من يدها الى الغرفة المواجهة ، وكانت الممرضتان تتضاحكان هناك . وبين حين وآخر ، كان أنين السيدة ، وزعيقها ، وسبابها ، يتعالى في اذني حسن . ثم نادت الحكيمة قائلة :

ـ أسرع يا دكتور حسن . الحق بنا في كشك العمليات . ستلد السيدة حالا .

فزعق حسن :

ـ طيب . سأستدعي النائب .

وأقبلت الحكيمة تعدو ، وكان حسن يهم برفع سماعة التليفون ، قالت :

ـ ليس هناك وقت . أسرع . سنقوم بولادتها معا .

وكانت السيدة تمر في صحبة الممرضتين عبر الصالة ، ثم تهبط السلم ، وتعبر ممرا بالحديقة ، الى كشك العمليات المقابل .

* * *

تمت الولادة في كشك العمليات بسرعة . وكانت الحكيمة تمسك بيدين حانيتين طفلا جميلا ، سليم الصحة ، وقد دثرته بملاءة صفيرة ، وراح الخادم ينظف المكان . وكان الطفل قد كف لتوه عن البكاء ، والممرضتان قد وقفتا قرب الباب ترقبان المشهد بفتور . وهبطت السيدة من المنضدة ، وأخذت تسوي حالها ، قائلة للكل :

ـ انني ذاهبة الان . شكرا لكما .

فقالت الحكيمة ، غير فاهمة ما نعنيه السيدة ، قالت للخادم :

ـ أصحبيها الى سريرها لتستريح ، لكن تدثري بهذه البطانية .

وتقدمت احدى الممرضتين ، وتناولت بطانية من فوق منضدة صغيرة ، لكن السيدة قالت :

ـ لا انني ذاهبة .

وفهمت الحكيمة ، فصاحت مشفقة :

ـ الان ! الى أين ؟

فقالت السيدة :

ـ الى بيتي .

ـ بيتك ؟

كان حسن قد أشعل سيجارته ، وقال وهو ينفث الدخان :

ـ الان . انك متعبة ، وفي حاجة الى الراحة ، والى الغذاء . يبدو انك فقيرة الحال ، وينبغي أن تمكثي يومين .

فقالت السيدة ساخرة :

ـ يومان ؟ الراحة ؟.. هم !.. لقد ولدت ثلاثة أبناء وأنا واقفة ، أعمل في بيتي ، أو في بيوت الناس .

برقت عينا حسن ، معجبا بأعصابها ، وقال :

ـ طيب . كما تشائين . فقط ، انتظري معنا الى الصباح . جسدك الان حساس ، ولسوف يلفحك الهواء ، وينفذ في عظامك .

فقالت السيدة ، وهي تلف شالها الاسود حول رأسها وعنقها :

ـ لا أستطيع . أولادي نائمون الان في الغرفة ، وما زالوا صغارا ، فأكبرهم عمره ، يا دكتور ، خمسة أعوام .

فقال حسن بنبرة جافة :

ـ لماذا لم تستدع اذن أقرب مستوصف ، بدلا من أن تأتي ؟

فأجابت السيدة :

ـ لم أشأ أن أقلق جيراني النيام ، ثم انه ليست معي نقود لهن ، وما كسبته أثناء النهار الاخير ، أخذه التاكسي الذي حملني الى هنا .

ـ غريبة . وزوجك ؟.. هل هو ...

فقاطعته السيدة :

ـ زوجي ؟ هه . لقد هرب . تزوجني ، وعاش عالة علي . أرهقني بالعمل في البيوت ، وبالابناء . وحين وقفت في وجهه محتجة ، عاقبني بالهرب ، تاركا أبناءه لي . النذل .

ـ غريبة .

قالها حسن ، ثم أضاف بحنان ، وهو يمسك ببطاقة زيارتها :

ـ ماذا ستسمينه ؟

ـ لا أعرف . سموه أنتم .

فقالت الحكيمة :

ـ طيب ، سأسميه أنا . فلنسمه : غريب . ما رأيك في هذا

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

تتمة جناح استقبال النساء

الاسم يا دكتور ؟

ضحكت المرضتان بجوار الباب من الاسم : غريب . وكان حسن يقول :

ـ اسم مناسب لحالته . لكن ، ما اسم ابيه ؟

ـ وما الداعي لاسم ابيه ؟

قالت ذلك السيدة ، في الحال . فأحست الحكيمه بالخطر الذي يهدد الطفل ، فضمته الى صدرها بلهفة ، قائلة :

ـ الن تأخذيه ؟

فقالت السيدة بيقين :

ـ لا . لا أريد أن أرى وجهه . لا تدعيني أراه . حسبي ما عندي من أولاد ، لا أجد قوتهم الا بالكاد .

وتمتم حسن بحيرة :

ـ غريبة . لم أر ذلك قبلا . كنت أسمع عنه في الصين مثلا .

وكانت المرضتان تنظران احداهما الى الاخرى ، ثم الى السيدة العجيبة . واضاف حسن محتدا :

ـ تأتين ، وتلدين طفلا جميلا مثله . أنظري اليه . وترفضين تسميته ، وترفضين ذكر اسم ابيه ، ثم لا تريدين أن تأخذيه معك . لماذا ؟ ما ذنبه هو ؟

وداس حسن سيجارته بقدمه حتى سحقها . وكانت السيدة تقول شاردة :

ـ لا أعرف . لكنني لن آخذه . لهذا جئت الى هنا . قررت ذلك منذ ... منذ هرب . سيشل هذا الولد حركتي عن العمل في البيوت . لا ، يكفيني ما عندي يا دكتور .

واقعت مجهدة تحت المنضدة الطويلة ، مستندة الى ساقها . وأسرعت الحكيمة تقول بلهفة :

ـ لن تأخذيه اذن . طيب . ارجوك ان تتركيه لي ، ان تتنازلي عنه . أنا لم أنجب ، وزوجي يريد ولدا . كنا نفكر أنا وهو في أن نتبنى لنا ولدا من الملجأ .

كانت السيدة تنظر الى الحكيمة ، مفكرة في مصير ولدها معها . وأحست بضيق عابر ، لان الحكيمة ليست جميلة . وكانت المرضتان تتغامزان على الحكيمة . وهمست احدى المرضتين :

ـ انها ترسم جيدا .

وأضافت الحكيمة مؤكدة :

ـ سيعيش معنا سعيدا يا أختي . سأكتب تنازلا الان . هيه . ماذا قلت ؟

فقالت السيدة بضعف ، وقد أطرقت برأسها على ركبتيها :

ـ طيب . خذيه .

فتدخل حسن قائلا :

ـ لكن زوجك ، سيأتي لك ذات يوم ، ويطالبك به .

وحدقت الحكيمة في وجه حسن بنظرات مستاءة . وقالت السيدة :

ـ يأتي ؟ هل يجرؤ ؟ لكن ، لو فعل ، سأقول له انه ولد ميتا . وعلى أي حال ، لقد هرب قبل أن يعرف انني حامل .

فقال حسن بحزن :

ـ لكنني واثق انك ستندمين ذات يوم . انت الان في غير وعيك . وسوف تأتين الينا ، وتسألين عنه ، وتطالبين به ، و ...

فقالت السيدة مؤكدة ، وقد وقفت ببطء :

ـ لن أفعل ابدا . لن أفعل أبدا .

ناولت الحكيمة غريب الى المرضتين ، فأخذتا تلاعبانه برفق . وراحت الحكيمة تكتب على حافة البوتاجاز الصغير ، تنازلا قصيرا ، في ورقة صغيرة ، بخط سريع . ثم قدمته للسيدة . فتناولت القلم من يدها ، وكتبت اسمها في ذيل السطور ، بحروف كبيرة : « نفيسة محمود » . ثم تحاملت واقفة ، ومدت الحكيمة يدها بخمسة جنيهات لنفيسة ، قائلة :

ـ هذه لك . دبري حالك بها . استريحي أياما من العمل .

فمدت السيدة ذات الملابس السوداء يدها ، ثم ترددت ، ثم مدتها ثانية ، واطبقت كفها على الورقة ، ودستها في صدرها قائلة :

ـ شكرا يا سيدتي الحكيمة .

كان الطبيب واقفا يتفرج ، وسيجارته تحترق سريعا في فمه . واضافت السيدة ملتفتة الى الطبيب :

ـ شكرا يا دكتور . لقد أرحتني يا سيدي .

مدت الحكيمة الطفل للسيدة لتراه ، وتقبله القبلة الاخيرة :

ـ ها هو يا أختي . أنظري اليه .

فاشاحت السيدة بوجهها عنه ، قائلة :

ـ لا . لا تدعيني أرى وجهه . أرجوك . لا .

اكتابت الحكيمة ، ثم قالت بلهجة حاسمة :

ـ طيب . لكن ، تذكري انني منذ الان أمه ، وانني لا أريد ان يعرف له أما غيري ، منذ اليوم .

ـ لك ذلك . اعتني به يا سيدتي الحكيمة . أرجوك ، اعتني به.

ـ لا . لا تخافي . انه منذ الان ولدي . لقد ولدته الليلة هنا .

وطوح حسن بسيجارته ، كازا على أسنانه ، وانصرف من كشك العمليات مسرعا . وجرت احدى المرضتين فاطفأت السيجارة بقدمها . وادارت نفيسة ظهرها ، وغادرت الكشك . وكان حسن يشعر برغبة عميقة في أن يبكي . ونفيسة تحاول أن تبصر طريقها الى الباب الخارجي في غبش معتم ، وسط دروب الحديقة المتعرجة ، وانفجرت تنهنه .

***

كان حسن جالسا مهموما يدخن . وقد تركز تفكيره في ان المجلة القديمة بلا غلاف ، وان الساعة الان الثالثة . وكان الخادم جالسا

صدر حديثا :

للروائي السوري

فاضل السباعي

رياح كانون

الرواية التي ترصد أخصب ما يعيشه المثقفون من تجارب الحب والابداع الفني ، وتتصدى لهم في نجاحهم وفي سقوطهم وزللهم ، وتكشف زيف كاتبة برجوازية شابة ومن ورائها ناقد أدبي . الرواية التي تثير في الخواطر ألف سؤال . انها انعطافة في أدب المؤلف : لغة وفنا وموضوعا .

الناشر

دار اليقظة العربية ببيروت

دار القصة العربية بحلب

٤٤٨ صفحة ٦٠٠ قرش لبناني

خلف مصراع باب الجناح . وحكيمة اخرى قد جاءت واحتلت المكان الشاغر من المنضدة البيضاء في الصالة . والمرضتان تتهامسان عن حدث الليلة ، وغضب حسن الاحمق .

وسمع حسن صوت سيارة قادمة من بعد . وتذكر مشهدا رآه ذات ليلة في فيلم : شابة تضع ولدها ، الذي حملت به سفاحا ، على عتبة مسجد . واقتربت السيارة ، وتوقفت امام الباب . وسمع حسن أنين سيدة ، سمعه عاليا ، رقيقا للغاية . وفكر حسن ان الليلة ليلة المواليد الجدد حقا . وتذكر ان امه ماتت ذات ليلة ، وهي تلد بعملية قيصرية ، وعاش هو . وأسرع الى النافذة واسند جبينه الى زجاجها ، ونظر الى السيدة ، وهي تهبط من السيارة ، يعاونها الخادم ، والحكيمة ، والسائق ، ورأى حوضها صغيرا دقيقا . وشهق . وشعر انه لم تعد لديه اعصاب ، فعاد مسرعا الى التلفون ، وطلب « السويتش » ، ثم النائب ، وانتظر .

وكانت احدى المرضتين تقول لصاحبتها :

ـ غدا أول الشهر . اليس كذلك ؟

فهزت الاخرى رأسها . وزعق حسن فجأة في التليفون بصوت مرتعش :

ـ دكتور خالد .

ـ نعم .

ـ انا حسن ، في الاستقبال .

ـ اهلا .

ـ أرجوك أن تأتي .

ـ لماذا ؟

ـ قمت لفوري بعملية ولادة رهيبة !

ـ رهيبة ؟

ـ معذرة . ولادة عادية ، لكنها ...

ـ قمت بها ؟ هذا من شاني انا . انا النائب .

ـ معذرة يا دكتور خالد . كانت الحالة مستعجلة . ولم يكن ثمة وقت لدعوتك ، وانتظارك .

ـ هم .. وهل تمت الولادة على ما يرام ؟

ـ نعم . كانت ولادة ميسرة .

ـ طيب ، لماذا تريدني الان ؟

ـ ثمة زائرة اخرى . أسمعها الان تزعق بشدة . أحس وانا هنا انها ستلد بعملية قيصرية .

ـ ماذا قلت ؟.. تحس ؟ أنت طبيب .. ها ها .. ربما كنت من اهل الباطن .

ـ لا . لا تسخر . سترى انني لا أخطيء الان . ارجوك . تعال.

ـ طيب ، طيب ، سآتي بسرعة .

كان النائب قد وضع السماعة على الطرف الاخر . لكن حسن ظل يقول في سماعة التليفون :

ـ أسرع يا دكتور خالد . انني اسمعها تصرخ ، وتصرخ ، يبدو انها لم تخلق للحمل . تعال . ارجوك . دعني استرح . لماذا ؟ تقول لماذا ؟ لان امرأة حملت بالوهم ، والثانية تركت ولدها . تصور . اخذته الحكيمة . تبنته . أنت تعرف انها لا تلد . ماذا ؟ نعم . لم يبق على الفجر سوى ساعة . لكنني متعب . تعبت الليلة من مواليد الدنيا . تعبت . أسرع . امي ماتت وهي تلدني . هل تسمع نقيق الضفادع ؟ انا اسمعها جيدا هنا . أحسب انني افهم الان فقط ، ما تقوله عنا .

وزعقت الزائرة ، فانتفض حسن ، وقد سقطت السماعة من يده ، فوق مجلة قديمة لا غلاف لها . واحس بالرعب حين رأى الحكيمة والمرضتين ، واقفات معه في الغرفة ، يرقبنه باستغراب .

القاهرة

سليمان فياض

القوة السوداء

الجزء الأول

تأليف ستوكلي كارمايكل وتشارلز هاملتون

ترجمة ناجي علوش

● في الولايات المتحدة اليوم قوة نامية تهدد بنسف المجتمع الاميركي من الداخل ! هذه القوة هي القوة السوداء .

● وكارمايكل الشخصية الثورية المعروفة هو من ابرز زعماء هذه القوة .

● بمَ تطالب هذه القوة ؟

● انها تطالب ببناء المجتمع الاميركي على اسس جديدة ، تضمن الحرية والرفاهية للبيض والسود . وهذا يقتضي بالطبع هدم المجتمع القديم وبناء مجتمع جديد، يكون للسود فيه حق حكم انفسهم حكما ذاتيا.

● فالقوة السوداء اذن قوة مقاتلة من اجل التحرير . وهي بهذا تعتبر نفسها جزءا من حركات التحرير في العالم الثالث .

● ان كارمايكل وهاملتون مؤلفي كتاب « القوة السوداء » يطرحان قضية تحرير السود طرحا نظريا واعيا وثوريا ، ويستخدمان لغة ثورية صادقة ..

● ان قراءة وجهة نظرهما ضرورية للتعرف على حركة ثورية جديدة اختارت ان تكون حليفة للعرب ولكل الشعوب في كفاحهم ضد الامبريالية .

منشورات دار الآداب